اخا كان باخيه قبلك و قال بعض الادبا يظن بالمرء ما يظن بقرينه و قال عدي بن زيد

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ... فان القرين بالمقارن يقتدي

فلزم من هذا الوجه ايضا ان يحذر من دخلا السوء ويجانب صحبة اهل الريب ليكون موفور العرض سليم الغيب فلا يلام بملامة غيره وهذا قبل التثبت والا ومداومة الاختبار والابتلاء تتعذر لا بل تعوز و قد ضرب ذو الرمة مثلا لمن غر حسن ظاهره وخبث باطنه فقال

المرء كالماء يخبث طعمه ... وان كان لون الماء ابيض صافيا

و نظر بعض الحكما الى رجل سو حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما الساكن فردي فاخذ حطيئة هذا المعنى فقال

وبينما انس الساكنين فيه ... منزل عامر وعقل خراب

وانشدني بعض اهل العلم

لا تركنن الى ذي منظر حسن ... فرب رايقة قد ساء مخبرها

ما كل اصفر دينار تصرفه ... صفر العقارب ارداها وانكرها

ثم قد تقدم من قول الحكما من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس اثمرت مودته ندما و قال بعض البلغا مصارمة قبل اختبار افضل من مواخاة على اغترار و قال بعض الادبا لا تثق بالصديق قبل الخبرة ولا توقع بالعدو قبل القدرة و قال بعض الشعراء

لا تفرحن بامر حتى تجربه ... ولا تذمنه من غير تجريب

حمدك المرء ما لم تبله خطا ... وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

واذ قد لزم من هذين الوجهين سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم قبل اصطفائهم فالخصال المعتبرة من اخائهم بعد المجانسة التي هي اصل الائتلاف اربع خصال الخصلة الاولى عقل موفور يهدي الى مراشد الامور فان الحمق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة و قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحمق شؤم و قال بعض الحكما عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحمق لان الاحمق ربما ضر وهو يقدر

انه ينفع

انه ينفع والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف به عليه العقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا من غير المحدود و قال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العقلاء و قال بعض البلغا من الجهل صحبة ذوي الجهل ومن المحال مجادلة ذوي المحال و قال بعض الادبا من اشار عليك باصطناع جاهل او عاجز لم يخل من ان يكون صديقا جاهلا او عدوا عاقلا لانه يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك و قال بعض الشعراء

اذا ما كنت متخذا خليلا ... فلا تثقن بكل اخي اخاء

فان خيرت بينهم فالصق ... باهل العقل منهم والحياء

فان العقل ليس له اذا ما ... تفاضلت الفضائل من كفاء

والخصلة الثانية الدين الواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين عدو لنفسه فكيف ترجى منه مودة غيره قال بعض الحكما اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والراي والادب فانه رد لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك و قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

اخلاء الرجال هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل

فلا تغررك خلة من تواخي ... فما لك عند نائبة خليل

وكل اخ يقول انا وفي ... ولكن ليس يفعل ما يقول

سوى خل له حسب ودين ... فذاك لما يقول هو الفعول

و قال اخر

من لم تكن لله خلته ... فخليله منه على خطر

والخصلة الثالثة ان يكون محمود الاخلاق مرضي الافعال مؤثرا للخير امرا به كارها للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء وتفسد الاخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة وملامة فان المتبوع تابع صاحبه و قال عبد الله بن المعتز اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا واستيحش تابع صلاحه و قال بعض الحكما مخالطة الاشرار خطر والصبر على

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)